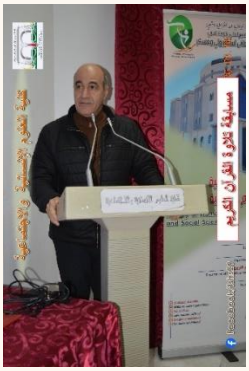

قراءة في مقال محمد مولفي : "falsafa وphilosophie — عمل الفلسفة وتطبيقها"

***Revue de Métaphysique et de Morale*, N° 4/2009**

أ.د_كرد محمد | mohammed.kerd@univ-mascara.dz | https://kerdmed.netlify.app/ |

أ.د. محمد كرد **أستاذ للتعليم العالي في الفلسفة وعميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية** بجامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، الجزائر. وقد كرس أكثر من ثلاثة عقود من حياته لدراسة الفلسفة واستكشاف الفكر الإنساني تجربة أكاديمية تتجاوز 32 عاما منذ التحاقه بالتدريس عام 1991، ومشاركته في أكثر من 20 مؤتمرا وطنيا ودوليا منذ 2009، يعد أ.د. كرد من الأصوات في الفلسفة الجزائرية المعاصرة..

مقال عن ضيف الكلية

يطرح محمد مولفي في مقاله سؤالا فلسفيا عميقا من خلال مقارنة مصطلحي "philosophie"و :"falsafa"هل كانت الفلسفة العربية مجرد وساطة نقلت الفلسفة اليونانية، أم أنها أنتجت تفلسفا أصيلا؟

حين يختار محمد مولفي أن ينطلق من "الشغل الدؤوب في تفسير معنى الواو الرابطة" بين مصطلحي *falsafa*و*philosophie*، فغنه يعيد طرح سؤال فلسفي قديم: هل أنجزت الفلسفة العربية الوسيطية تفلسفا حقيقيا، أم أنها اكتفت بأن تكون وساطة لا أكثر؟ والسؤال في ظاهره تاريخي، لكنه في باطنه إبستيمولوجي خالص: ما الشرط الذي يجعل من الاستقبال الفلسفي إبداعا لا مجرد نقل؟

يستأنس مولفي بفوكو في مستهل مقاله، ليضفي على المشروع طابعا نقديا صريحا، فالفلسفة عنده مهمة "قول راهننا (*dire notre actualité*) "في فضاء يفتح إمكانية التحول. وهذه الاستعارة الفوكوية هي استراتيجية نصية: مولفي يريد أن يكون مقاله نفسه نموذجا للفلسفة التي يدعو إليها ، فلسفة تواجه راهنها بدلا من الاستغراق في ماضيها.

يرسم مولفي في المحطة الأولى شكلا للحظة التأسيس، لكنه يتحاشى الوقوع في فخ التمجيد. فهو يقر بأن الفلسفة كانت ذات نسب يوناني صريح، لكنه يبادر إلى التحذير:

"Cependant généalogie n'est pas homologie"(Moulfi, p. 512)

هذه الجملة الموجزة تحمل ثقلا منهجيا كبيرا. فالنسب لا يعني التطابق، والاستقبال لا يعني الاستسلام. وينتقل من هنا إلى الكندي الذي رفض الموقف

الإثنومركزي، بل اعترف صراحة بالدين للفلسفة اليونانية، لكنه في الآن ذاته أعاد صياغة بعض مبادئها الجوهرية ، كمسألة أزلية العالم ، انطلاقا من معطى ((الوحي)). هذا ما يسميه مولفي "الترويض(*l'arraisonnement*) "، وهي عملية مزدوجة: النفي والقبول في آن معا، أو كما يقول بدقة بالغة:

"L'accès s'effectue par une rupture/intégration qui ne peut se réaliser que dans la philosophie et que par la philosophie."(Moulfi, p. 513)

في محطة أخرى من مقاله، يختار مولفي ابن رشد نموذجا لحجة فلسفية جوهرية، معتمدا على دي ليبيرا شاهدا نقديا. والحجة الثالثة التي يستدعيها هي الأكثر جرأة:

"Cet enracinement doxographique doit être mesuré dans toute son ampleur, notamment pour redresser le préjugé voulant que, puisqu'Averroès est un philosophe 'arabe', le GC ne puisse (se) comprendre que comme texte philosophique 'arabe'. Rien n'est plus faux." (Moulfi, p. 515, citant de Libera)

هذا القول يقلب المعادلة المعتادة: لا تقيد هوية الفيلسوف نصه ولا تختزله. والفيلسوف العربي حين يبلغ ذروة إبداعه يتجاوز انتسابه الجغرافي لاعتبار أن الفكر الحقيقي يتجاوز بطبيعته حدود الانتماء.

يبلغ المقال ذروته النقدية حين يواجه مولفي الفلسفة العربية بالسؤال الأشد إيلاما: لماذا غاب هيغل عن أفقها؟ وهو لا يطرح هذا كملاحظة أكاديمية، بل كتشخيص حضاري:

"Hegel ou plutôt le rapport à Hegel est sinon quasiment absent de la pensée arabe, du moins apparaît-il accessoirement derrière l'accueil de la théorie transformiste de Darwin et d'un certain marxisme underground.' (Moulfi, p. 517)

والأهمية الهيغلية التي يشير إليها مولفي لا تتعلق بهيغل كشخص بل بما يمثله: إمكانية فكر يتجاوز التضاد بين العقلاني والتاريخي، بين المتناهي واللانهائي، بين الفلسفة واللاهوت ، لا بتحييد أحدهما لصالح الآخر، بل بتجاوز التضاد ذاته جدليا. والفلسفة العربية، كما يرى مولفي، أخطأت هذا المنعطف. ثم يعلق بمرارة هادئة:

> *"Hélas! l'histoire de la philosophie ne se fait pas au futur antérieur."* (Moulfi, p. 518)

وهذه الجملة هي الأكثر تكثيفا في المقال برمته: التاريخ لا يعاد، والتفلسف الجدي يقتضي مواجهة ما فات لا استعادته بالحسرة.

ينتهي المقال بمقترح منهجي يجمع بين الواقعية والطموح. فمولفي لا يريد فلسفة عربية تتمسك بهويتها دفاعا، ولا فلسفة تذوب في الكونية. بل يدعو، مستعيرا مصطلح الـ "*dépasement*" من مالبرانش ، إلى أن يصبح الفيلسوف غريبا في وطنه، ليعود إليه بصيرة أحدث وعمقا أصفى. وهو يلخص مشروعه في استثمار:

> *"la tension constitutive entre des contenus de connaissances assignables en propre à la philosophie et son expression dans une autre langue, d'autres idiomes."* (Moulfi, p. 522)

هذا التوتر يشتغل به، وهو في جوهره الأطروحة الكاملة للمقال: بين *philosophie* و*falsafa* ليس "واو" الجمع ولا "واو" العطف البسيط، بل هي "واو" التوتر الخلاق الذي إذا خبا انتهى التفلسف.

مخرج

ننهي هذه القراءة بطرح هذا التساؤل الفلسفي في انتظار ردود أساتذتنا الأفاضل بعد قراءة هذه الورقة : كيف تكون فلسفيا عربيا دون أن تجعل العروبة قيدا؟

نتيجة

يقدم مولفي في هذا المقال نموذج لما يمكن تسميته بـ"الإبستيمولوجيا التاريخية للفلسفة العربية"

•